بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجد حبيبه ومـ نفاه من نور ذاته، وطهَّره وجمَّله بـ نفاته، وجعله قدوةً وأُسوةً طيبةً لكل من يتعرض لفضله وعـ نائه وهباته. والـ صلاة والسلام على النور المكنون، والسرِّ المـ صون، وبحر العلم الإلهي المخزون، سيدنا محمَّد، سرَّ قوله عزَّ شأنه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٨٢يس).

صلَّى الله عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وكل من تبعهم على هذا الهدى إلى يوم القرار، وعلى إمامنا ومرشدنا سماحة السيد محمَّد ماضي أبو العزائم، وكل من تابعه على عهده، ومشى على دربه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم أجمعين إلى يوم الدين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين.

أيها الأحبة في الله: إستمعت معكم إلى حديثٍ شجيٍّ من أخي الداعي الأستاذ قنديل عبد الهادي بارك الله فيه، وهذا الحديث يدور حول قول الله عزَّ وجلَّ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٢١الأحزاب).

أمرنا الله عزَّ وجلَّ – ومن قبلنا، ومن بعدنا – أن يكون قدوتنا إلى الله عزَّ وجلَّ في سيرنا وسلوكنا، إذا كنا نرغب في المواهب العلية، والمنازل الرضوانية، وحقائق القرب من الحضرة القدسية، أن يكون قدوتنا في كل ذلك هو خير البرية صلى الله عليه وسلَّم. والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلَّم يقتضي أن يقتدي به الإنسان في ظاهره وفي حقيقته وباطنه، فهو صلى الله عليه وسلَّم في ظاهره كان مجمَّلاً بمقام العبدية لله عزَّ وجلَّ.

ومقام العبدية هو أرفع وأعلى المقامات التي يسمح بها الله عز وجل للمتجمِّل في الدخول للحضرات القدسية. قال سيدي أبو اليزيد البسـ سامي ﷺ: (يا ربِّ، بما يتقرب إليك المتقربون؟، قال: بما ليس فيَّ. قال: وما الذي ليس فيك؟، قال: الذلُّ والمسكنة والتواضع وغيرها من الـ نفات التي ينبغي أن يتجمل بها المرء في نفسه لرضاء ربِّه عزَّ وجلَّ.

وأما في باطنه؛ فهو وحده من بين المرسلين والنبيين والخلق أجمعين الذي جمَّله الله عزَّ وجلَّ بـ نفاته القدسية، وأخلاقه الذاتية، والتي مدحه عليها ومن أجلها في آياته القرآنية، وقال لنا به معرِّفاً: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤القلم).

فهو أعلى من الخُلُقِ العظيم!!، لأن أصحاب الخُلُقِ العظيم أصحاب الكمالات النبوية والمـ نفوية من السادة المرسلين لحضرة ذات الله، فهم عبادٌ كُمَّل لحضرة ذات الله، لكنه هو وحده العبد الأكمل في التخلق بأخلاق مولاه جلَّ في علاه.

فقد كان كل نبيٍّ له على قدره شميمٌ من هذه المعاني الإلهية، وذكر الله عزَّ وجلَّ أنبياءه ورسله في القرآن بما منحهم من هذه العـ ية، فقال عن إبراهيم: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) (٣٧النجم)، وقال عن إسماعيل: (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا) (٥٤مريم)، وقال عن نوح: (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (٣الإسراء).

لكن الذي جمع كل الـ نفات الإلهية، وظهرت فيه كل الأوصاف الذاتية – إن كان لعالم الملكوت، أو لعالم الجبروت، أو لعالم النعموت، أو لعالم الجن، أو لعالم الإنس – كل الذي ظهرت فيه كل هذه الجمالات والكمالات لـ ولاَّب هذه الحالات هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم. وبين إمامنا رضي الله عزَّ وجلَّ عنه وأرضاه حقيقة

هذا الأمر فقال في شأنه صلوات ربي وتسليماته عليه:

أبرزته يد العنـــــاية كوناً وهو نورق في صورة آدمية

فإن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم مما تعلمون، ثم سوَّاه ونفخ فيه من روحه، وأظهر فيه من أجل نور حبيبه ومـ ـفاه جمالاته وأخلاقه الر ـانية. ثم أمره عزَّ وجلَّ أن يعرض هذه الأخلاق بما يتناسب مع الملائكة في حالتهم الملائكية: (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) (٣١: ٣٣البقرة).

فظهر فيه – صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى أبيه في المعنى وابنه في المبنى حبيبنا صلوات ربي وتسليماته عليه – المعاني الإلهية العلية، والأخلاق القدسية التي تـ ـابق عالم الملكوت الأعلى بكل أنواعه وطوائفه، فعلموا أن هذا الحبيب المقرب من الله عزَّ وجلَّ، ولا قرب إلا بحضرته، ولا وصول إلا عن طريق سدرته، ولا مشاهدة لجمال الألوهية إلا بإشراق أنوار ذاته، لأنه صلى الله عليه وسلَّم كما قال إبن مشيش ﷺ: (لولا الواسـ ـة لذهب كما قيل الموسوط).

فهو الذي تجلى فيه الله بكماله، وتحمَّل هذا التجلِّي وتحمَّل هذا التنزُّل، وتحمَّل هذا التفضُّل، وغيره لا يستـ يع أن يتحمَّل ذلك، ولكنه يلـ ّف هذه الأحوال ويخفِّف هذه المواجهات، ويجعلها في متناول الـ ـالبين لله عزَّ وجلَّ من كافة الحضرات العُلوية والحضرات اللدنية، لأنه صلى الله عليه وسلَّم مظهر جمال ذات الله عزَّ وجلَّ. وهذا ما نردده دائماً: ((إلهي بمَجْلَى الذَّاتِ سِرُّ الحقيقة)).

فهو المَجْلَى الذي تتجلَّى فيه كمالات الذات الإلهية بكمالاتها الأحدية، وهو صلى الله عليه وسلَّم يواجهنا على قدرنا – وعلى قدر صفاء قلوبنا وعلى قدر هُيام أرواحنا وعلى تعلُّق نفختنا القدسية في الحضرة العلية – يعـ ـينا كما قال صلى الله عليه وسلَّم في حديثه المبين لذلك: (الله المعـ ـي وأنا القاسم)[1]. اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك أبي القاسم، واجعل لنا أجمل قسمة من هذا العـ ـاء، وأكبر نـ ـيبٍ من هذا الفضل، وخُـ ـنا أجمعين بما نكون به معه في الدنيا، ونكون معه في الآخرة، ونكون من أهل جواره في جنة النعيم، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين.

إذن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلَّم يكون بالتخلق بأخلاقه الإلهية التي يقول فيها إمامنا أبو العزائم ﷺ: (لا يكون الرجل رجلاً حتى يتخلق بالأخلاق الإلهية عند المضايق التي تدفعه بشدة إلى الأخلاق الإبليسية أو الأخلاق البهيمية).

هذا هو الرجل الذي تمكَّن في حاله، ولا تستـ يع الجبال أو الأرض أن تزحزحه عن أحواله، لأنه يستقي من يمين الحبيب ويشرب من كاساته حتى يـ يب، وليس له في الدنيا والآخرة في قلبه نـ ـيب، وإنما همُّه كله في مجلى الذات وهو الحبيب الأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه.

فيتخلق بأخلاق الحبيب صلَّى الله عليه وسلَّم في العفو عمن ظلمه، وفي الإعـ ـاء لمن حرمه، وفي الوصل لمن

[1] صحيح البخاري عَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْـ ـِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ).

قـ عه، لأنه قال في هذه الأوصاف الذاتية: (أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن – وهذا لخاصة الأبدال، والمجمَّلين بجمال هذه الأحوال – أن أصل من قـ عني، وأن أُعـ ي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني)[٢].

فلا ينبغي لرجلٍ يريد هذه المقامات الإلهية أن يبقي في نفسه بقية لأي شيءٍ في هذه الدنيا الدنية، لأن الله قال في أبي الأنبياء والمرسلين: (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (١٨٤الـ افات). قلبٌ سليمٌ!!، يقول فيه إمامنا أبو العزائم ﷺ:

نفسٌ بقلبٍ سليمٍ رفعةٌ ورضـــــا وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظـــــات
الجســـــم بالقلب يترقى إلى رتبٍ والجسم من غير قلبٍ في الضلالات
فإذا صفـا القلب من وهمٍ وشبهـاتٍ يشاهد الغيب مســـــروداً بآيات

ولا يلتفت نفساً عن المكون عزَّ وجلَّ، ويكون كما قال ﷺ: ((لو فُتح قلب المريد قدر سَمِّ الخياط، لم يلتفت عن الله نفساً ولو صُبَّتْ عليه البليَّات)).

لأنه يريد وجه الله، والذي يريد وجه الله ينبغي أولاً أن يـ هّر قلبه من جميع ما سواه، حتى لا يكون في قلبه غير الله جلَّ في علاه.

فإذا تحلى بهذه الجمالات الإلهية، يتحلى مع الأهل والأحباب والناس جميعاً في الكون بالأخلاق المحمدية؛ بالمودة والر ـة، والشفقة والعـ ف والحنان، والتي يقول فيها الله عز وجل لحضرته: (فَبِمَا رَ ْـَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الامْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) (١٥٩آل عمران).

والتي يقول فيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفي رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (إن الله وصف حبيبه صلى الله عليه وسلَّم في التوراة بما وصفه به في القرآن: إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو

[٢] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة الم ـابيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أمرني ربي بتسع: خشية الله في السر والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقـ ـد في الفقر والغنى، وأن أصل من قـ عني، وأعـ ي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونـ قي ذكراً، ونظري عبرة، وآمر بالعرف)، وقيل: (بالمعروف)، رواه رزين. قال الـ يبي ر ـه الله: ذكر تسعاً وأتى بعشر، فالوجه أن يحمل العاشر وهو الأمر بالمعروف على أنه مجمل عقب التف يل. وفي جامع الأصول في أحاديث الرسول عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (أمرني رَبِّي بِتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقـ ـد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَـ َعَني، وأعـ ي مَنْ حَرَمَني، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَني، وأن يكون صَمْتِي فِكْراً، ونُـ ْقي ذِكْراً، ونظري عبرة، وآمرُ بالعُرْف، وقيل: بالمعروف» أخرجه ... قال ـقق جامع الأصول في أحاديث الرسول عبد القادر الأرناؤوط: كذا في الأصل بياض بعد قوله: أخرجه، وفي الم ـبوع: أخرجه رزين، وقد روى الفقرات الثلاث الأولى الـ براني في الأوسـ عن أنس، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة: (ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الرضى والغضب، والقـ ـد في الفقر والغنى)، وهو حديث حسن، والفقرات الثلاث التي بعدها رواها البراز والـ براني والحاكم عن أبي هريرة، وأـ ـد والحاكم عن عقبة بن عامر، والـ براني في الأوسـ عن علي، والـ براني عن معاذ بن أنس، والبزار عن عبادة بن الـ ـامت، وهو حديث حسن بـ رقه وشواهده، والفقرات الثلاث الأخيرة لم أجد لها طرقاً وشواهد. وأخرج ابن قال ابنُ أبي الدنيا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ: أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (أَوْصَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِتِسْعٍ خِـ َالٍ: أَوْصَانِي بِخَشْيَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالِاقْتِـ َادِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ مَنْ قَـ َعَنِي، وَأَنْ أُعْـ ِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ نَظَرِي عِبَرًا، وَصَمْتِي تَفَكُّرًا، وَقَوْلِي ذِكْرًا).

ويِ فح، ولن يقبضه الله عزَّ وجلَّ حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله)[٣].

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجمِّلنا بأحواله الإلهية، وأخلاقه الإنسانية، وأن يكمِّلنا بهذه الكمالات المحمدية، وأن يجعلنا متعلقين به على الدوام، وأن لا يحرمنا من رؤياه في اليقظة أو المنام، وأن يجعلنا في يده اليمنى يوم الزحام، وأن يجعلنا من الذين يسقيهم من يده الشريفة من حوض كوثره يوم الدين.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

****

[٣] روى الإمامُ البخاري عَنْ عَ ٰاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: {لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم فِي التَّوْرَاةِ؟، قَالَ: أَجَلْ؛ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الأحزاب)، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ؛ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا).